عوض الشاعري

سطوة الكلاب

قصص



الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

سطوة الكلاب

قصص

عوض الشاعري

سطوة الكلاب

قصص

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE

سطوة الكلاب
عوض الشاعري

الطبعة الأولى : 2020 م

رقم الإيداع المحلي: 2019/14
رقم الإيداع الدولي: 9789959-921-03-1

دار الكتب الوطنية بنغازي - ليبيا
هاتف: 7165022.21821+ - بريد مصور 4843580-21821+
ص.ب: 75454 - طرابلس Email: almosgb@yahoo.com

المقدمة

سطوة الكلاب ..

خلق جديد للجمال ..!!!

عرفت عوض الشاعري منذ سنوات طويلة، منتصف تسعينيات القرن المنصرم، عرفته صحفياً يجيد رص الكلمات في واقع ملغم، تكثر فيه السلبيات وتشتد فيه الرقابة على كل حرف من سلطة موغلة في الإيذاء، يتبرع كثير من المريدين البلهاء بكتابة تقارير إلى أجهزتها الأمنية كلما قرؤوا شيئاً يتناول الواقع البائس الذي كنا نعيشه .

أسسنا سوياً وبمبادرته مع بعض الرفاق عام 2000 " بيت البطنان الثقافي " بجهودنا الخاصة الخالصة بعيداً عن أهواء السلطة أياً كان نوعها، ونجحنا في إقامة الكثير من النشاطات التي كان لها صدى طيب في المدينة وخارجها . في ذلك الوقت لم يكن هنالك أي جسم يجمع المثقفين في المدينة، فالسلطة لم تكن لتسمح بشيء من هذا، لكنها اضطرت فيما بعد عندما رأت نخبة من الكتاب يغردون خارج السرب أن تحتويهم فوافقت على إنشاء رابطة للكتاب والأدباء وأخرى للصحفيين، وكان بذا أن فشل العمل الجماعي الأهلي متلوثاً بما أثارته السلطة من اختلافات مقصودة بسبب إنشاء هذه الروابط.

لكن عوض الشاعري ظل محافظاً على تألقه الصحفي، فكانت مقالاته التي ينشرها أسبوعياً في صحيفة البطنان تتحول شيئاً فشيئاً إلى مقالات قصصية، حتى تلبسته القصة تماماً، فأوغل في فجاجها، زادُه قاموس منغمس في البداوة النقية حد الحزن، ومختلط بحياة المدينة حد البؤس .

وفي هذا الكتاب قصص بديعة .. جميلة .. لقاص متميز، يجيد سبك الحروف، وصوغها فيما يشبه اللحن الذي يتكرر في كل قصة في بناء سيمفوني أخاذ .

قصص عوض الشاعري تحمل دائما متعتها وروعتها، هذه الروعة التي قلت كثيراً في زماننا برغم كثرة المنشور القصصي، وأنا أشعر بالنشوة كلما قرأت شخصيات الشاعري وتعلقت بإهابها وعشت معها تقلباتها الطريفة والعجيبة في آن، وتأتي الطرافة في اختيار الشاعري لبعض شخوصه من الحيوان، وفيها يختزل معاناة الإنسان من المجهول والسلطة، يلجأ عوض لقول ما لا يريد أن يفصح عنه صراحة على لسان الحيوان مستغلاً ببراعة هذه الحيلة القديمة والذكية في آن، ممرراً من خلالها رؤاه في الحياة والحرية، في المستقبل والديمقراطية .

وفي سرد الشاعري دفق من الإحساس الغامر، يأخذك كما لحن بيانو ناعم ينساب، ثم يتركك فجأة في حالة من الوحشة والوجد، حاثاً ذهنك على الاتقاد والتفكير في النهايات الجميلة المعلقة . إنه كـ " راعٍ شجاع ظل يحكي لنفسه ألف حكاية وحكاية حتى لا يصرعه النعاس ، فتضل القطعان أو يداهمها الغزاة» . أو « عن راع آخر أرَقه الحنين لمضارب قبيلته فنشأ ينفث وجداً أبدياً في مزماره مناجياً طيف طفولته الأولى.»

قصص الشاعري مدهشة التصميم، رائقة البناء، تحمل على الدوام حكمة ما، تجدها معلقة على أطراف الحكي دون وعظ مباشر أو نصح فج .

أحيانا يغوص الشاعري في الواقع ويشكله بكل خشونته في شخصيات واقعية يمكن أن تلتقيها أمامك في أي مكان، معبراً بصدق عن التزام حقيقي بماهية الواقعية، التي كثيراً ما يخلطها بالسحرية، فتأتي شخوصه نماذج وارفة الظلال تستطيب رؤيتها مهما كانت حياتها غائمة .

تجد في قصصه احتفاء بالريف بكل مظاهره الجميلة والقبيحة على حد سواء، كما تجد احتفاء بالمدينة جمالياتها وقبحها، فعوض رغم انحيازه الكامل للجمال إلا أنه لا يهمل القبح أيضاً فيصوره، وتصوير القبح لون من ألوان الجمال أيضاً، يعجبني كثيراً الشاعري حتى وهو يصور مظاهر القبح .

يكتب الشاعري: «يقول المثل: أبرع من حكاء طبرقي ... نعم ..فليس أبرع من سارد عليم يستدرج مخيلتك برقة ولطف ويطوف بك عبر فضاءات من وهم ...ثم ما ينفك يأتيك بما لم تكن قد أحطت به خبراً أحياناً ... أو بما لم تكن تتوقعه في أغلب الأحايين .... وليس ثمة أجمل من قرية عانقت مضاربها أعتاب البحر ومفارق الصحراء ...بعد أن توجتها أحلام أبوللو وبوسيدون وكل آلهة الجمال في الزمن الغابر ...ثم نسجت عبر مرافئ الحلم الجميل وأزمنة الفاتحين عباءة للوطن وأسطورة للجهاد»

وهو هنا يشير إلى تميز مدينة طبرّق بحكائيها وقصاصيها، حتى جرت ببراعتهم الأمثال، وأقول بصدق وإخلاص: إن عوض الشاعري

واحد من أهم الحكائين في ليبيا منذ مطلع الألفية الثالثة .. يصطف بإبداعه القصصي في الصف الأول من كتاب القصة القصيرة في ليبيا .

ولنفصل الآن بعض من ذكرناه آنفاً :

تعد القصة القصيرة أقرب الفنون الأدبية إلى روح هذا العصر، لأنها انتقلت بمهمة القصة الطويلة – أي الرواية – من التعميم إلى التخصيص، فلم تعد تتناول حياة بأكملها بكل ما يحيط بها من ظروف وملابسات مثل الرواية، وإنما اكتفت بتصوير جانب واحد من حياة الفرد أو خلجة واحدة من خلجات النفس تصويرا مكثفا يساير روح العصر فى إيجاز، بكلمات منتخبة تؤدى إلى جلاء حقيقة واحدة، أو تحديد رأى معين، أو نقل انطباع خاص.

والقصة القصيرة وفق الأنماط السردية تنقسم إلى عدة أنواع أهمها القصة الحداثية وهو نوع أكثر حداثة من سابقة، يبدو عوض الشاعري مسايراً بقوة لهذه الموجة، فالقصة الحداثية تتوفر على عناصر الإيجاز والتكثيف والتركيز، وهي عوامل ضرورية في القص الحديث، وهي الرؤية الداخلية التي يبدو فيها السارد محدود العلم، يعرف ما يعرفه المحيطون به في فضاء القصة ويجهل ما يجهلون مثلما يبدو باعتباره واحداً من شخصيات القصة المسرودة، وفي الغالب يكون السرد بضمير المتكلم " أنا " ولهذا يسمي بعض النقاد هذا النوع بالسرد الذاتي .

ويبدو أن هذا النمط السردي يتضح أكثر من غيره عند عوض الشاعري، فهو في مثلاً في قصة (عينان) يعرض الشخصية الرئيسة وهي تجهل ما يدور في ذهن الراكب أمامها في "الترام"، فهو لا يعلم

لماذا يسلط هذا الراكب نظره الحاد نحوه، إلا بعد أن يفقد السارد " البطل " اتزانه ويتجه للانتقام من الرجل قبل أن يفعل هو ذلك، لكنه يفاجأ بأن الرجل أعمى . يقول " حدة نظراته، وجمود عينيه كانت تخيفني ... كانت تصيبني بالقلق .. فكرت أول الأمر في نقودي .. فقد يكون نشالاً .. لا .. لا .. فأبناء البلد لا يسرقون."

فمن خلال قوله (فكرت ....) تبرز التساؤلات الدالة على محدودية العلم والاكتفاء بوصف ما يظهر من شخصية الرجل الجالس قبالته في الترام .

وفي نمط آخر وهو القصة الأكثر حداثة أو ما بعد الحداثية المستعين من جهة بتقنية السارد الموضوعي والرؤية الخارجية التي تبرز فيها القصة أشبه بمشهد حواري سينمائي، ولذلك يتسم السارد بصفة المحايدة التامة، كأنما هو مخرج سينمائي وكأنما عيناه عدسة متحركة، تكتفي بالتقاط ما يبدو لها من الصور والأصوات التقاطاً يجعل من هذا السارد المحايد مجرد شاهد،، ولذلك يطلق النقاد عليه أحياناً بالسارد الشاهد وأحياناً بالسارد أو (الراوي) غير الظاهر.

فهو سارد خارجي لكنه يختلف عن السارد في القصة التقليدية بأنه لا يتدخل بالتعليق أو التفسير أو الانحياز، هو سارد محايد يلتقط الحدث القصصي كما يبدو لعينيه بالصوت والصورة ولا يزعم العلم المطلق، بل يظل متخذاً موقف المحايدة تماماً.

ويمكن أن نمثل لهذا النوع بقصة (قميص الرجل الأكثر وسامة) فالقصة تبدأ مباشرة بمشهد حواري مسبوق بجملة سردية تمهيدية على هذا النحو :

- " قالت وهي تختبر حرارة المكواة:
- هذا القميص يجعلك أكثر وسامة.

قال :

- هذا اعتراف منك بوسامتي إذن؟ «

وعلى هذا المنوال يتواصل تدافع الحدث، فكل جملة حوارية تنقله إلى الأمام دون أي تدخل من السارد، وحتى نهاية القصة .

ويمكن أن يستعين القاص في هذا النوع، بتقنية ضمير الغائب «هو»، كما في هذه القصة، أو بضمير المتكلم (أنا) كما في قصة (كان نومه وشيكاً).

فالسارد المحايد هنا، يمكن أن يقترن بضمير الـ«أنا»، محتفظاً بالمتابعة المشهدية نفسها، ودون أن يقع في مأزق الذاتية الذي يجر إليه استخدام ضمير المتكلم .

فعوض الشاعري استطاع من خلال النموذجين السابقين — الأول الذي استعان فيه بضمير الغائب والثاني الذي استعان فيه بضمير المتكلم — أن يحافظ على متابعة الإيقاع الثابت للسرد متابعة تشبه إلى حد بعيد متابعة عدسة السينما المتحركة.

بحيث ظهر السارد محايداً وموضوعياً، أشبه بالسارد الخفي غير الظاهر على مستوى المنطوق السردي. لكننا على مستوى المسكوت عنه فحسب يمكن أن نستكشف وظائفه اللامحدودة فقط عند التأمل في بنية المشهد الذي يعرضه أمام أعيننا عرضاً سينمائياً وموضوعياً ومحايداً.

فالشاعري القاص، من خلال تتبع كل نتاجه، سواء ما نشر في

مجموعته الأولى (طقوس العتمة) أو ما نشر عبر هذه المجموعة (سطوة الكلاب)، ظهر جلياً استفادته من أنماط السرد المختلفة وتقنياته .

وقد ظل كثير من النقاد ينظرون إلى المكان باعتباره مجرد وعاء لاحتواء الحدث القصصي، أو مجرد تأثيث جامد لابد منه لاكتمال الحدث، لكن العصر الحديث وما شهده النقد من تطور أظهر أن للمكان مهمة حيوية، بالغة الأهمية في النسيج القصصي، لا تقل عن سائر الأجزاء الأخرى التي ينبني عليها العمل القصصي .

وإذا كان الزمن السردي، في القص الحديث، ليس هو زمن الساعة، فكذلك المكان السردي، ليس هو المكان الطبيعي . فالنص السردي، يخلق عن طريق الكلمات، مكاناً خيالياً، له مقوماته الخاصة، وأبعاده المميزة .

فهناك علاقة بين المكان الذي يؤسس الفضاء، من ناحية، والدلالة الكلية للنص من ناحية أخرى . فالمكان ليس مصطلحاً محايداً أو عارياً من الدلالة . فالتلاعب بصورة المكان يمكن استغلاله لأقصى الحدود، فإسقاط الحالة الفكرية، أو النفسية للأبطال، على المحيط الذي يوجدون فيه، يجعل للمكان دلالة تفوق دوره المألوف، كخلفية جامدة تؤطر للأحداث .

كاتب القصة القصيرة، قد يحافظ على وحدة المكان، فالقصة لا تستطيع في إطارها المحدد، أن تستوعب أماكن متعددة، تجري فيها الأحداث، وهذا يؤدي بالكاتب، إلى تكثيف الموقف الذي يعالجه ؛ إلا أنه قد يلجأ – على الرغم من وحدة المكان – إلى تحريك قصته، في أماكن متعددة، عن طريق تقنيات الانتقال الزماني، فيرتد إلى الماضي، لعرض بعض المواقف التي مرت بها الشخصية، وعايشتها،

وهذا يعطيه مساحة أكبر لتمرير وعيه بأحداث العمل الفني .

وعلى هذا الأسس التي قدمناها، يمكن أن نقرأ دلالات عديدة للمكان عند عوض الشاعري .

وما يلفت النظر هو ذلك الاحتفاء بالريف والمدينة، فمعظم أعمال الشاعري احتواها هذان العنصران، إلا بعض القصص مثل قصة (عينان) التي جرت أحداثها في « الترام « وهو أيضاً مظهر مدني، ويمكن اعتباره ضمن الإطار المكاني للمدينة عند الشاعري .

وعندما نستقرئ مدونة الشاعري القصصية، نلاحظ – بشكل عام – اهتماماً ملحوظاً بالريف أو البادية على حساب المدينة أو المدنية، وبدا لنا أن مساحة الحنين والشوق لحياة البادية يقابلها ذم ظاهر، أو خفي في بعض الأحيان للمدينة ومظاهرها .

فإذا ما استعرضنا القصص التي جعل مكانها السردي القرية، نلاحظ أن ذم الحياة الاجتماعية البدوية هو المسيطر، بينما في قصص المدينة، يظهر مدح البادية وأخلاقها . وهذا في رأيي اكتشاف عجيب .

فلماذا فعل الشاعري ذلك ؟ لماذا عندما يكون فضاء السرد بدوياً خالصاً، يذمُّ البيئة البدوية ويعرِّض ببعض مظاهرها السلبية ؟ وعندما يكون فضاء السرد مدنياً، يذمُّ البيئة المدنية ويحن إلى البيئة البدوية .

ولعل ما يثير الانتباه أيضا في قص عوض الشاعري ظاهرة التعالق النصي أو التناص، فالعمل الأدبي يدخل في شجرة نسب عريقة وممتدة كالكائن البشري .فهو بذرة خصبة تؤول إلى نصوص تنتج عنه، كما أنه نتاج لما سبقه حاملا معه بعض الصفات الوراثية ممن قبله.

وتختلف هذه الاستفادة إما بالكتابة عن النص ذاته، أو بتفجير

نص آخر في نفوسنا ينشأ من تفاعلنا مع النصوص المقروءة. يختلف تداخل نص مع نصوص سابقة، ويتنوع بحسب الاستفادة، فللتعالق النصي أنواع متعددة، منها التعالق مع التراث أو الموروث الشعبي أو مع الأسطورة، ولكن ما يعنينا هنا هو التعالق النصي القرآني، وهو أكثر أنواع التعالق ظهوراً عند عوض الشاعري. وفيه يقتبس الأديب نصاً قرآنياً، ويذكره مباشرة، أو يكون ممتداً بإيحاءاته وظله على النص الأدبي، لنلمح جزءاً من قصة قرآنية، أو عبارة قرآنية يدخلها في سياق نصه.

يظهر التعالق النصي القرآني بوضوح في ثنايا حكايا الشاعري، وأول ما يلفت الانتباه عند تتبع هذه الظاهرة في مجموعته الأولى (طقوس العتمة)، هو العنوان، فلا تخفى الدلالة الدينية لكلمة « طقوس « .

وفي قصة (عروس البحر) يقول :» ضرب البحر بعصاه فانفلقت نصفين، نصف ذهب مع الأمواج ونصف راح يهش به عن غنمه « .

وهذا يحيلنا على الآية الكريمة ﴿ **فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فِرقٍ كالطود العظيم** ﴾ [1]

ولا يخفى هذا التعالق الذي يربط هذه القصة بقصة موسى عليه السلام.

وواضح في كثير من المواضع الأخرى، تأثر الكاتب بقصة موسى عليه السلام التي فصل الله سبحانه وتعالى أحداثها في القرآن الكريم.

ويظهر هذا التأثر – أكثر ما يظهر – في قصة (الطريد) فبطل القصة اسمه " موسى " وعنوان القصة " الطريد " وقد هرب موسى من قومه مضطراً، وعاش زمناً وهو مطارد، وكذلك حدث لبطل

---

1 سورة الشعراء الآية 63.

القصة، إذ رحل قبل أن يسمع قرار طرده من رجال القبيلة .كثر فأكثر كلما قرأنا فقرات من هذه القصة يقول في بعض فقراتها :" كان سابحاً في بحور الخيال وكان الملأ يأتمرون به "، وواضح من جملة " يأتمرون به " تلك الإشارة إلى الآية الكريمة ﴿ **وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين**﴾ [1] .

وفي قصة (تداعيات ليلة صيفية) نجد تناصاً قرآنيا آخر، يتمثل في قوله :" هو صبرك الأسطوري، بل الأيوبي هذا ..."، فهذه إحالة إلى قصة صبر أيوب عليه السلام، التي سجل الله جل وعلا أحداثها في القرآن الكريم .

وفي ذات القصة نقرأ أيضاً " ما يدريك فأنت لست (سليمان) لتعرف سر طنينها .. "، وهو يتحدث هنا عن لغة البعوض، ومعروف أن سليمان عليه السلام وبحسب ما أخبرنا الله في القرآن الكريم، يعرف لغة كل المخلوقات كالنمل وطائر الهدهد على سبيل المثال .

وفي قصة (طقوس العتمة) تعالق نصي قرآني مثير، فبطل هذه القصة يعاني من العتمة التي تحيط به من كل اتجاه وكأنه في سجن سحيق، تماماً كما كان من قبل نبي الله يونس عندما كان سجيناً في بطن الحوت المظلم، يقول في ختام القصة :" وتراقصت في مخيلته حزمة من الحروف البراقة، التي راحت تتراصف بسرعة خرافية .. أذهلته طريقة تجمع الحروف في ذهنه، فأغمض عينيه وشرع يقرأ بصوت مسموع : إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ". ولا يخفى أن يونس عليه السلام عندما اشتدت أزمته قال هذا الدعاء،

---

2 سورة الآية .

يقول تعالى :﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين* فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾[1] .

وبعد :

كانت هذه رحلتي مع حرف عوض الشاعري المثير للبحث والتقصي، وهذه المقدمة لم تستوعب كل ما توصلت إليه ولذا وجب التنويه إلى إنني سأنشر دراسة مطولة عن أدب الشاعري قريباً بعون الله.

ولا أزعم أني أحطت به خُبرا، ولكنني حاولت تقريب وجهة نظر المبدع للقراء الأعزاء، ومن وجهة نظر محبة لفن الشاعري، فليس يفترض فيمن تصدى للنقد أن يكون مجافياً للمحبة، أو كارهاً للجمال فيستغرق جهده في كشف المثالب وإحصاء العثرات، فالنقد كشف للجمالي كذلك .

ولعل بعضا مما أثارته هذه المقدمة سيكون باباً لمزيد التقصي في عوالم الشاعري الحكائية، ونقطة انطلاق لدراسات معمقة تكشف مزيداً من ألق عوض الشاعري الإبداعي .

فوزي عمر الحداد

قاص وناقد

أستاذ الأدب والنقد بكلية التربية

جامعة عمر المختار طبرق .

---

1 سورة الأنبياء الآية 88.

أصــــوات

بعد معركة غير متكافئة خرج منها بذيل نصف مقطوع ومؤخرة دامية، قرر أن يرحل عن قطيع الكلاب، ويترك لهم القرية بما رحبت .

وضع شطر ذيله النازف بين فخذيه مستجمعا بقايا عزيمته الخائرة، ونشأ يركض كيفما اتفق .. استمر في العدو، ترفعه هضاب وتهبط به سهول .. وحيدا في البراري، لا يعرف وجهته بالتحديد، ولا يدري كم قطع من المسافات .. الصحراء تحاصره من كل الاتجاهات، والشمس تلهب جسده المنهك بسياط من لهيب .. والحصى يكوي أرجله بمياسم مسنونة كالسفافيد.

على غير هدى ركض .. وركض .. وظل يركض، والأفق يمتد كأن لانهاية له، وآثار الهزيمة تتبع خطاه المجللة بالذل والهوان كحارس غير أمين .. جال بصره في الفراغ الشاسع فلمح خيالات وأطلال .. تحامل على نزفه متجهاً صوب ما رأى، والألم والأمل خصمان قويان يتصارعان على حلبة مخه.

شاكسه السراب، غالب غائلة الظمأ، تدلى لسانه من أثر اللهاث، فاندلق لعابه الدبق يسيل على الأرض، مختلطاً بذرات الرمل وبقايا الأعشاب الهشة فيرسم خيوطاً متعرجة سرعان ما تمحوها خطاه.

في رحلة الاقتراب، تناهى إلى سمعه صوت مشؤوم:

● غاق ... غاق ... غاق

● بدأ يقترب والوجل إسار أبدي يدعوه للتمهل .. والفضول آفة جهلى تغذ خطواته إلى الأمام .. عن كثب .. شاهد أسراباً من الغربان تقتات جيفة جمل نافق .. أيقن بالهلاك، ودب في جسده المكلوم ذعر شديد .. حاول الرجوع، خانته فرائصه، فأقعى مشدوهاً كمن ينتظر مصيره المحتوم .. تذكر هزيمته .. إذلاله .. وهنه .. سالت دموعه فأجهش بالنباح .. فزعت الأسراب .. طارت في الأعالي .. حامت .. اقتربت .. صنعت من أجسادها غيمة حالكة ظللت جسده .. أفزعه حفيف الأجنحة .. خفقانها .. سوادها .. أحس بالبرد يضرب عظامه .. انتابته قشعريرة مفاجئة، فأغمض عينيه متابعاً نوبة الشجن كشاعر طريد يرثى اغترابه .. ظل ينوح والأسراب السوداء تحوم فوق رأسه في تشكيل دوراني مهيب .... أحس بأن الأرض تميد تحت قدميه، وضرب رأسه دوار حاد، وهو يحدج المناقير والمخالب، مترقباً النهاية .. استنفر كل مخزون النواح محركاً رأسه ذات اليمين، وذات الشمال، والنعيق يزداد حدة وضجيجاً كمعزوفة أسطورية ملعونة .. استجمع قوته .. ووقف ناصباً ذيله المقطوع، وصاح صيحة رددتها الصحراء:

(............................

تراجعت الغربان .. تحلقت حول غراب مسن للحظات .. ثم راحت تنعق من جديد بأصوات منغمة

● غاق ... غاق .... غاق .. غــاق

هاله ما سمع .. فانتصبت أذناه كرادار يستجلي النبرات:

(إنهم ينعقون .. لازالوا ينعقون .. لازالت المناقير تردد ما يشبه النشيد، أو لعلها تلهج بالدعاء) .. هكذا ردد في أعماقه:

- لكن كيف ؟
- وأنا الطريد الفار
- القادم من المجهول .. الزاحف نحو هذا الفراغ المقيت

كان المشهد عصياً على التصديق .. وصدى الأصوات يجلجل في الآفاق:

- غاق ... غاق .... غاق ... غـاق
- نازعته رغبة هستيرية في الركض، وأخرى جارفة في البكاء من جديد .. تمالك نفسه، عندما عن له خاطر مباغت، فانتفض كمن يستفيق من كابوس ثقيل، وراح يتبختر أمام الأسراب التي حطت على مقربة منه .. محركاً شطر ذيله المسلوخ في خيلاء وغرور.. مشيراً إلى الغراب العجوز بتنظيم الصفوف، والاستعداد لاقتفاء أثره عائدين باتجاه القرية من جديد.

طرابلس: 5-5-2005م

سطوة الكلاب

الكلاب في مدينتنا لها سطوة عجيبة ، والناس في الغالب يستهويهم عشق كل عجيب وغريب ، ومن عادة بعض أبناء مدينتنا عشق الكلاب ، والحنين إلى عوالمها ، رغم كل شيء تقريباً ... رغم كل شيء... حتى وإن كان هذا الشيء ، منح هذه الكلاب صكوكاً على بياض ، للتصرف كما يحلو لها ، دون أي اعتراض من أحد ، خصوصاً إذا كان هذا الأحد لا يملك أي كلب قرب باب بيته ، أو مجرد جرو هزيل يجعله في عداد أصحاب الكلاب ، العارفون بأسرارها وقوانينها ، التي سنها حكيم بدوي ، أجبر خصومه على الإمساك بذيل أطول كلابه بطريقة عمودية ، وغمره بمحصول قريتهم وكل القرى المجاورة من قمح البرية المحصود بمناجل لامعة تحت ضوء القمر ، وعندما لمح نظرة الانكسار في عيون غرمائه ، أصدر حكمته الذهبية

"لا تضرب كلباً ، قبل أن تعرف صاحبه!! "

ورغم أن الكلاب ـ كما هي الآن ـ لم تكن تحمل هوية أو علامة ، أو وسماً يميزها عن بعضها البعض ، أسوة بكل حيوانات القرى الموسومة بندبة معينة ، تحدد هويتها أو هوية مالكها على الأقل.

فالإبل في الصحراء المتاخمة للقرى ، تحمل شفرة على أفخاذها تلوح من بعيد ، والأبقار في الحظائر توشى رقابها بشفرة مشابهة ، وأغنام المراعي تغطي نصف أصداغها علامات مماثلة ، وكذلك الماعز والخيول وبعض الحمير ... كلها لم تنج أجسادها من الكي

والدمغ بمياسم حديدية محماة على جمر ملتهب.

وحدها الكلاب فقد حُرِّمت أجسادها على نيران القبائل ، خوفاً من لعنة سلطان الحكمة ، الذي أطلق فتواه الذهبية ورحل بعد ثلاثة أهلة كاملة ، ولم ينتظر مواسم المطر التي لم تصب القرى ، منذ أُغلق عليه قبره ، وأثقلوه بحجارة من صوان.

تقول الأسطورة : أن كلباً من سلالة أطول الكلاب وجوهاً ، ظل قائماً على رمس الحكيم حتى صرعه الكمد والجوع ، فقرر وجهاء القرية دفنه جنباً إلى جثة الحكيم تكريماً لوفائه ، وظلت الكلاب في مدينتنا منذ تلك الحادثة " تمذرح " بأذنابها في خيلاء ، وتطيل من إخراج ألسنتها في وجوه المارة والسابلة ، مستمدة سلطانها من بركة الحكيم حتى الليلة القادمة، لدرجة أن الحاجة (عصرانة) أقسمت أنها رأت فيما يرى النائم قطيعاً من الكلاب يمتطي أرتالاً من السيارات الصحراوية ذات الدفع الرباعي يتجه نحو الجنوب، ويرفعون عقيرتهم بأغاني " العلم " في رابعة النهار، وأنهم حينما اقتربوا من أعمق بئر صحراوي، ألجموا خطام رواحلهم الحديدية بعد أن أناخوها باتجاه مطلع الشمس، وراحوا يمارسون طقوساً بدائية ،ثم خلعوا ذيولهم المقوسة و طاروا في السماء.

منذ تلك الليلة والناس في مدينتنا مولعون بالتنزه صحبة كلابهم في الحديقة المجاورة لبيت الحاجة (عصرانة) والتي قليلاً ما تغادر نافذتها المطلة على أطول شوارع الحي لتروي للعابرين ما تراه في منامها كل ليلة، و تمسِّد بيدها الواهنة المتغضنة ظهور الكلاب التي يأتي بها أصحابها طلباً للنصح، مخافة أن يتورطوا في شرائها، قبل أن ينفحونها بعضاً مما تجود به جيوبهم ويغادرون ، ثم تضع تبرجها لزوجها الشايب وتستغرق في حلمها القديم بوجه صبي يساعدها في إيقاد السراج .

بنغازي 5-1-2010م

الكلاب والذئب

حدثتني جدتي ذات مساء طفولي موغل في البعد والاغتراب ، أن ذئبا كان يهيمن على كل كلاب نجعنا و النواجع المجاورة بطريقة عجيبة جدا ، حتى تحول إلى أسطورة في عالم الغزو على قطعان الماشية والأغنام التي تقلصت حياتها في اجترار الأعواد اليابسة بالحظائر أو قضم الأعشاب المرة على تخوم المراعي القريبة من مضارب القبيلة ، لدرجة أن مجالس البدو وحكاياتهم لم تكن تخلو من الحديث عن مغامرات شيخ الذئاب و ضحاياه من صغار الحيوانات و الطيور، بل لدرجة أن بعض الناس بدؤوا يؤرخون لأحداث ومناسبات مهمة كان وجه الذئاب طرفا فيها أو عنصراً مهماً من عناصرها الأساسية أو الثانوية .. ذاع صيت الذئب وتناقلت أخباره الركبان وأصبح مادة خصبة لخيالات الشعراء و رواة الأحاديث الذين هم آفتها على مر العصور.

قالت جدتي:

تخيلنا في فترة ما أن ذلك الذئب هو قدرنا ، وأن السماء قد وهبته خاصية بسط نفوذه على هذه البقعة البائسة دون غيرها وأنه يتوجب علينا إرضاؤه و التسليم بمشيئة المقادير رغم معاناتنا مع مواسم القحط والجفاف و ندرة المراعي وانخفاض معدلات هطول المطر ، واستمر الحال سنوات وسنوات و أهل البرية لا يملكون سوى الإذعان بخنوع لواقعهم حتى أنهم استمرؤوا هذا الخضوع بصبر مذل و لامبالاة عجيبة ، إلى أن جاء يوم كان من أحلك أيام البدو

في كل مكان ، عندما تعرض موكب عروس ابنة زعيم العربان لغزوة شرسة كان بطلها ذلك الذئب اللعين الذي أعمل أنيابه الحادة في بطن العروس ففارقت الحياة وسط عويل النسوة وبكائهن المرير.

تنهدت جدتي وأردفت : كنت شابة جميلة أنا أيضا وكنت على ظهر ناقتي القريبة من هودج ابنة عمي العروس (مكاسب) ... ورغم ما عرف عني من قوة وفروسية إلا أنني فقدت الوعي من مشهد الدماء تسيل على الثوب الأبيض ومن رؤية الذعر الذي دب في المكان ، وهالني ارتباك الرجال وتفويتهم الفرصة لاقتناص ذلك الذئب الغادر برصاص بنادقهم التي كانوا يتراقصون بها منذ قليل ابتهاجا بعرس ابنة الشيخ حبيب، شيخ شيوخ منطقتنا والمناطق المجاورة.

وعند عودتنا قرر حكيم البادية أن يجتمع بأهل الحل والعقد ليتدبروا حيلة ما تخلصهم من هذا العدو المخاتل الذي فشلت كل خططهم السابقة في إبعاده أو القضاء عليه ، وبعد ساعات من الجدال و تبادل الأفكار أوحت لهم امرأة مسنة بفكرة لمعت في أذهانهم جميعا وكأنها هبطت عليهم من السماء فشرعوا في تنفيذها على الفور ، قاموا بحبس أغنامهم ومواشيهم في الحظائر لثلاثة أيام متواصلة و قاموا بذبح شاة مكتنزة و وضعوا آليتها المتخمة بالشحم و الزرنيخ على مقربة من مغارة الذئب باتجاه الشمس . . وحينما فشلت جولات الذئب في اقتناص طعامه كعادته شم رائحة الدهن المنصهر فاقترب من كتلة الشحم المغرية ولسان حاله يردد:

والله يا لية مانك بلا بلية ...والله يا لية مانك بلا بلية.

و عقله في صراع بين تلبية نداء بطنه والخوف من مكائد العربان . قبل أن يختفي تماما من تلك الربوع القصية.

سيد المدينة

رأيته يجلس على كرسي مهتريء بأعلى ربوة بمنتصف المدينة ، بعباءته الرثة وشاربه غير المهذب كطاووس هرم ، رغم التجاعيد الناتئة في وجهه والتغضنات البارزة في رقبته الطويلة التي تشي بطول سنوات عمره التي تجاوزت العد ، رغم منظره الذي يدعو للرثاء والسخرية معاً كانت نظراته توحي بالعته والبلاهة أحيانا ثم سرعان ما تتحول إلى خارطة ملغزة يصعب استكشاف دروبها الموغلة في التشابك والتشعبات ، اقتربت منه فلم يعرني أدنى اهتمام ، حاولت أن أقترب أكثر صدمني بعدم اكتراثه ، كانت ملامحه المستفزة هي سيدة الموقف بم

اقتربت أكثر حتى تقلصت المسافة بيننا إلى عدة خطوات ، كان يراني ... لا شك إنه يراني فهو ليس كفيفاً على أي حال ... يتضح ذلك من خلال تجول عينيه ومسحه للمكان ببصره دون أن يأبه لوجودي أو يهتم بوقوفي وأنا القريب منه لدرجة أنني كنت أسمع زفير أنفاسه بتتابع ، بل كنت أحس بصهدها يلفح يدي التي توازي جلسته الطاووسية التي يتقنها تماماً ، كنت أستغرب أن المارة لا يتوقفون ، الجميع يعبر الطريق على عجل ولا ينظر تجاهي ، حتى الأشخاص الذين أعرفهم تمام المعرفة كانوا ينظرون في الاتجاه الآخر وكأنني غريب ليس عليهم الالتزام تجاهي بإلقاء ولو مجرد تحية عابرة بصوت خفيض أو هزة

سريعة بالرأس ، أو حتى مجرد إيماءة برفع الحاجبين وخفضهما كما تعود أبناء مدينتنا في مثل هذه الظروف ، كانت الحيرة تهيمن على مخيلتي وهو يمد يده ليمسك بيدي في إشارة : أن اجلس !! .....لا أدري لماذا وجدتني انساق وراء أوامره بتلقائية ودون أي اعتراض ... كنت فقط أنظر لوجهه الغريب وهو يخرج من بين ثنايا معطفه البالي وريقات كأنها جمعت من على رصيف الشارع مكتوب عليها (أخبار الأحزان) وراح يتصفحها بنهم ، ثم نطق قائلاً :

أنت خير جليس لي هذا المساء

يطيب لي أن تكون نديمي

فأنا سيد هذه المدينة .

طبرق خريف 2012

لازلت أتذكر ذلك الولد الذي كان يصغرني بعام واحد تقريباً وهو يجلس على الحجر الكبير الناشز على بداية طريق عودتي اليومي من مدرستي ، وهو ساهم الطرف كأنه يناجي طيفاً لا يراه سواه ، كان المارة يلقون تحيتهم عليه بآلية معهودة وبتهكم محبب بم

كأن يقول له أحدهم :

– خير يا مولانا ... متى يتنزل عليك وحيك ؟

أو يشاكسه آخر :

● كم نجمة في السماء يا صديق؟

أو يتفكه معه أحد السابلة قائلاً :

-هل تحولت إلى « دوار للشمس يا فتى ؟ «

لدرجة أن بعض السيدات المسنات كن يطلقن عليه لقب (حبيب الشمس وعاشق الجنيات)

تلك المرة التي اقتربت منه محاولاً الحديث معه : تمتم بكلمات لم أفهم أبجديتها وقال في صوت كالنشيج :: ـــ ج م ي ل ة .

منذ تلك الأيام وأنا أحاول تفسير تلك الأحرف المتقطعة مثل كلمات في صحيفة يومية فلم أفلح .... هل هي اسم لامرأة ما ... ربما تكون والدته ؟ أم أنها حبيبته التي تأتيه في الليل وتجعله يردد اسمها كل نهار مثل عابد متبتل ؟

الأيام تمضي بتسارع رهيب ، وننتقل إلى بيتنا الجديد في إحدى ضواحي المدينة ، وتضطرني ظروف دراستي للإقامة في مدينة بعيدة ، ونسيت أمر هذا العاشق الصغير ولم أعد أتذكره إلا حينما أحن إلى طفولتي على أعتاب الغربة فأغمض عيني وأتواطأ مع بقايا ذاكرتي مستدعيا شخوصاً من الماضي فيبرز لي من بين ثناياها وأراه هناك في ذات المكان : فألقي عليه سلام التذكار على عجل وأتركه لحال سبيله ، مفضلاً قضاء أطول قدر من زمن التذكار مع أحبتي وأصدقائي المقربين ...

البارحة وعند عودتي من سفري .... وجدته جالسا بنفس أناقته وهيئته الوسيمة صحبة بعض الشباب عند المقهى الحديث بمدخل الحي

فوقفت للحظة أتفحص الوجوه التي سرقتني منها سنوات اغترابي ، وأجول بناظريّ في تضاريس المكان الذي تغيرت الكثير من معالمه ، ويتملكني الخيال من جديد وتستدرجني الذكريات فلا أفيق إلا على صوت يداعب سمعي بنفس التتابع الزمني للحروف :

- ج م ي ل ة.

وما إن التفت نحو مصدر الصوت حتى احتضنني بقوة وبدفء فلم أجد سوى أن أعانقه بفرح طفولي وأصيح بأعلى ما في حنجرتي من ذبذبات : جميلــة ....

لا أدري كم من الوقت مضى وأنا أجلس مع أصدقائي أستمع للحكاية ، وكيف أن صاحبنا كان عاشقاً لسبع من الجنيات ، كن يغزفن له كل يوم سبعة ألحان مغوية ، لا يستطيع أن يستمع لسواها ، وأنه عندما يفرغ من سماع كل لحن يردد في توله وسحر تلك الحروف تعبيراً عن إعجابه وطلباً للمزيد من موسيقى الجنيات الساحرة .

طبرق :12-11-2012م

الببغاء المقرور

قبل أن ينفض ريشه في وجهي على حين غرة ، كنت مشدوهاً بالنظر إليه ، مغرماً بتسابيحه وتبتلاته الخرساء

كان يتباهى بريشه المزركش كل مساء وهو يتهجأ أحرفه المشغولة بعناية كحائك قديم ، يظل ينوح مرتلاً معزوفته الشجية مثل ناي معتق على شاطئ نهر أزلي ، وكنت أرقبه بشغف وهو ينفث بقايا روحه المكلومة في الغاب ، فتنساب عبر الثقوب بأناة وحزن شفيف ، أكتفي بمجرد إيماءة من رأسه المستطيل ومنقاره الحاد كي لا أخدش جلال اللحظة ، وهو يهيم في تجلياته كعابد متصوف ، مضى وقت وأنا مفتون بهيامه الببغائي ، حتى إذا ما أردت مشاكسته كي ينتج لحناً أكثر بهجة وأسمى اتساقاً ، عندها ، نفش ريشه الباهت بغرور وبدأ يكيل سيمفونية السباب التي على ما يبدو كان يحفظها عن ظهر قلب ورفع رأسه المدبب وألقى بمزاميره في بحيرة ارتباكه، وسط دهشتي من رذاذ منقاره المعقوف وصدمتي من ثورة الببغاء المقرور !!

بنغازي : 30-12-2012م

الحاجّة

في بداية زاوجهما كان يصطحبها بكامل تبرجها في شوارع مدينتنا بكل ثقة الشباب واندفاعة الصحة والحيوية . . . وحينما تقدم بهما العمر . . وفقدت بريق جمالها . . وضعت الخمار على وجهها واحتلت مكانها في المقعد الأمامي للسيارة مستمتعة بعبارته الوحيدة حين يلتقي بأحد أصدقائه القدامى في السوق:

●سلم على الحاجة !

طبرق : 13-6-2012م

القرار

اليوم قررت أن أتخلص من قلقي نهائيا . . لم يعد يليق بي أن أخشاه بعد الآن ... وأنا الذي تحملت كل هذا الألم الذي سببه لي طوال الأشهر الماضية . . وكل هذا الصبر والمناكفات التي نغصت علي حياتي . .لازلت أذكر رفقتنا الجميلة على مدى أربعين عاما ونيف وأنا أتعامل معه بحذر وأحاول إرضائه باستمرار . . .كنت أدلله كطفل صغير . . وأربأ بنفسي عن كل ما يثيره أو يستفز أعصابه . . لدرجة أنني كنت لا أتناول أي طعام لا يروقه أو أي نوع من العصائر التي لا يستسيغها . . حتى أنني خصصت جزءا من مرتبي البسيط للعناية به أكثر من أي شيء آخر . . تعودت خلال رفقتنا ومن بداية ظهوره في حياتي أن ألاطفه وأن لا أشاكسه أبدا وأن أحافظ عليه ناعما ومصقولا وأكثر بياضا . . . لكنه على ما يبدو لم تعد تروقه تلك الرفقة ولا حتى أسلوبي الروتيني في خصوصية العلاقة الحميمة بيننا . . . فدأب منذ شهور يشاكسني ويتركني للسهاد . . أقضي الليالي وحيدا مع الكمد . . أفكر في وسيلة ناجعة تمكننا من العيش سويا في تآلف وانسجام كسابق عهدنا . . أيام كانت للحياة لذة الاندهاش الأول . . حين كنت أشعر معه بطعم كل شيء على طبيعته . . فحلاوة السكر كانت معه شهدا خالصا لا تزال ذاكرتي تختزن رحيقه الأسطوري حتى الآن . . وعذوبة الفواكه كأن نسغها لم يزل تحت لساني . . ونكهة كل الأطعمة وكأنني أستدعيها الآن من خلف

جدار ذاكرتي وأتلمس خواصها بحلمات التذوق في مقدمة لساني . . . يااااااااه : مضى زمن طويل وأنا أفكر في ذلك حتى كدت أن أنسى كل ذلك بعد أن داهمني بمناوشاته فقررت الذهاب إلى أقرب عيادة من بيتي قبل أن يصدمني الطبيب بلهجة صادمة :

- **لم يعد يصلح فيه الحشو . . . لا مفر من خلعه يا صديقي .**

الإسكندرية : 10-10-2012م

الكواكبي

أطلقت عليه هذا اللقب منذ بداية تعارفنا عندما التقينا على هامش أحد المهرجانات ' كان لا يزال على أعتاب الكهولة مفعما بحيوية ونشاط يحسده عليه من يصغرونه بسنوات، مثلما كنت أغبطه أنا الذي أصغره بعشرة أعوام تقريبا، كانت علامات الرضا تلوح على وجهه المكتنز بعينيه اللتين تشعان بريقا وبأنفه الأقنى وفمه الباسم على الدوام وبتلك الغمازة في نهاية ذقنه الحليق، وبعنقه الطويل الممتلئ الذي تتدلى منه سلسلة فضية تتوسطها ميدالية منقوش عليها لفظ الجلالة بخط كوفي حسن، كنت أعرفه قبيل لقائي به بعدة أشهر من خلال كتاباته التي كانت تبهرني وأنا في بدايات مناوشتي لعالم الكتابة و كذلك عن طريق احتكاكنا غير المباشر على صفحات المواقع الأدبية والمنتديات التي تعنى بالقصص والنقد . . . كان ودودا وناصحا و سريع البديهة كعادته وحاضر النكتة والدعابة لدرجة أنني لم أشعر بأننا نلتقي للمرة الأولى في الواقع، ساعدني على الإحساس بهذا الشعور أحاديثنا السابقة عبر «مرسال أين « و» الأود يغو» و»الأس أم أن « و» ماسنجر الياهو»، و تبادل الآراء والرؤى والأفكار عبر البريد الإلكتروني آنذاك .

لكن الشيء الذي لم أكن أعرفه من قبل هو كل هذا الوله العجيب بالسيدات خاصة الأديبات والفنانات اللواتي كن يتحلقن حوله ككواكب تدور حول مجرة عظيمة، كن لا يتورعن في الجلوس على

طاولته والحديث معه حتى أوقات متأخرة، ولا يجدن أدنى حرج في الضحك بأصوات مرتفعة بعد كل نكتة أو حكاية طريفة يرويها حتى وإن نأت قليلا عن حدود الرزانة، فهو يعرف كل ما يثير كوامنهنّ وهنّ يجدن طلبتهن في سرده الأسطوري مثل حكّاء محترف، وكان في تلك الليلة فوق مستوى تجلياته فأراد على ما يبدو أن يكرمني أو يدعوني بطريقة ما إلى هذا الجانب المشاغب الذي كان خفيا عني من جوانب حياته، وأنا الكاتب الصغير الذي خرجت مؤخرا من مضارب عشيرتي الموغلة في بداوتها في نهايات القرن العشرين .

حاول بخبرته أن يبدد خجلي ويمد جسور التواصل بيني وبين صحبته حتى لا أشعر بغربتي أو باختلافي، وحاولت أنا مساعدته متواطئا مع ذلك الولد البدوي المشاكس الذي كان يسكنني حينها، فبدأت ألتقط خيوط الحديث التي كان يلقي بها لي بمهارة حائك قديم وأضفي عليها بعض الرتوش واللمسات فأرى علامات الرضا في عينيه من خلال بريقهما الذي يشع مع اكتهال الليل واتساع رقعة السهرة، لدرجة أنني تمكنت في وقت قياسي من استيعاب كل إشاراته وإيماءته وإيحاءاته بسهولة ويسر، وبدأت أشعر بأن الصحبة قد بدؤوا في الحديث أمامي بطلاقة وكأنني لست غريبا عنهم، فاعتبرت ذلك مؤشراً جيداً للألفة والأنس، و جواز مرور منحوه لي للتوغل أكثر في الحديث واستعراض بعض مهاراتي في الحكي عن مغامرات أغلبها من نسج مخيلتي وبعضها من مواقف لأصدقاء من مدن بعيدة، لم أكن مهتما بالتعابير المرسومة على وجوه معظم الجالسين بقدر تركيزي على تقاسيم وجه صديقي ،، الكواكبي،، الذي كان يمنحني الفرصة تلو الأخرى لإبداء آرائي حول أحد الموضوعات وهو يؤازرني على نحو مدهش عقب كل وقفة لي مؤكدا للرفاق أن:

● ألم أقل لكم ؟

● ما رأيكم في هذا البدوي المذهل ؟

● إنه يمتح من نبع صاف لم تكدره مدائنكم المالحة .

كانت عباراته بقدر ما تثير غدة العرق في جسدي تستحث قريحتي للتجويد ومحاولة ترتيب أفكاري في حضرة هؤلاء الذين كنت أقرأ كتاباتهم بشغف وأنظر كثيرا في ملامح صورهم على أغلفة إصداراتهم الأنيقة، ومع انحسار الليل الصيفي وتقلص رواد طاولة «الكواكبي» بدأ يتحدث بلهجة أكثر رصانة وبأسلوب الأستاذ الذي يحاضر في طلابه المبتدئين ، وسرعان ما تحول الجميع إلى مجرد مستمعين جيدين يصيخون السمع إلى حديثه الجاد حول الأدب وفروعه ومدارسه ورموزه وخصائص كل نوع من أنواعه مضفياً على الحديث رونقاً بسرده الشائق وعباراته المنمقة، ثم ما ينفك يحول دفة الحديث بحرفية تامة ناقدا قصة ما أو قصيدة لإحدى القاصات أو الشاعرات اللواتي كن ينصتن بأدب جم لكلماته، وإن أرادت إحداهن السؤال أو الرد أو التعقيب، فلابد أن ينتظرن إشارة منه أو إذن مباشر فتبدأ بالكلام الذي عادة ما يكون موافقة على رأي «الكواكبي» أو تأكيدا عليه، وكان كلما لمح استغرابي يمازحني بغمزة مشاكسة :

● ما رأيك أيها البدوي في عالم الكواكب؟

● أنا على استعداد أن أتنازل لك عن نصفهن

كي تروي لنا أحاديث جدتك المعتقة بعبق الحناء وزيت القرنفل ،

وعن عنزاتك التي تركتهن يرتعن على شط الشواعر

كان حديثه سلسا وغير معقد تتخلله نوبة من الضحك المصحوب

بسعال خفيف من أثر التدخين، وكانت آراؤه تبهرني، وقبل أن ينفرط عقد اللقاء يهمس لي :

● هذا عالمي يا صديقي وهؤلاء كويكباتي، أغدق عليهن من فيض بهجتي وأمنحهن ما يحتجن من بريق الشهرة والمجد ولا أبالي .

كنت أشفق عليه وهو يحتضن دواوينهن و مجموعاتهن القصصية بل ورواياتهن أحيانا فور صدورها وكأنه يحمل أطفاله الذين ولدوا للتو، يعانق الكتب برفق ويمسح الغبار وبقايا حبر المطابع عن أغلفتها التي كثيرا ما يشارك في اختيار لوحاتها بعناية فنان، وعيناه تزداد بريقا وإشعاعا مصحوب بسحابة خفيفة سرعان ما تهطل على وجنتيه المتغضنتين حينما يرى أمارات الرضا على وجه إحداهن، أو حين يلمح نظرة زهو وانتصار على ثغر إحدى مليحاته، و أنا أشفق عليه وأكاد أصدمه بالسؤال :

● لماذا لا تنجز رواياتك وتشتغل على مشروعك الثقافي الذي تأخر كثيرا؟

● لم تنفق كل هذا العمر تحيك أجمل الثياب وأغلى التيجان لأجساد الآخرين ورؤوسهم وتظل ترتق قمصانك المفتقة وتعتمر هذه القبعة التي اختفت تقليعتها منذ عقود؟

وكلما هممت تفاجئني عبارته:

● هل قلت لك يوما هذا عالمي، منذ أن تركتني أمي للشقاء ورحلت قبل أن تكتحل عيناي برؤيتها أو أمتص ولو جرعة واحدة من حليبها المقدس .

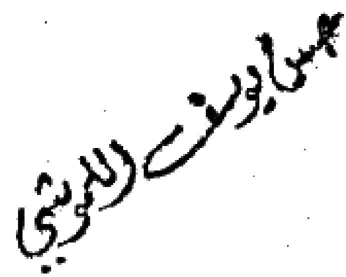
● منذ تلك اللحظة وأنا أشعر بأن الأقدار قد نصبتني سلطانا على هذا «الحرملك» الجميل

●التهمت آلاف الحلمات المترعة بطزاجة الحليب ورفضت ألف ضرع لنساء أنجبن أطفالا ذكورا، وكنت لا أرضع إلا صدور السيدات اللواتي وضعن للتو رضيعات مبرقشات العيون .

● فلا تلمني يا صديقي إن أنا وهبتهن جزءً من دَينٍ قديم، دين بعمري الذي أنهكته السنون .

فلا أجد سوى مشاكسته بود وأنا أربت على كاهله:

● هنيئا لك بعالمك أيها «الكواكبي» وأودعه عائدا صوب مدينتي الغافية بين أعتاب الجبل وأحضان البحر منذ الأزل مثل حورية تعزف أناشيدها للبحارة والعابرين دون توقف.



بنغازي: 31-12-2012م

الليلة عيد

الوقت يمر والجميع منشغل عن الجميع ورائحة الطعام والشراب تفوح في الأرجاء و مقصف الفندق مليء بكل ما لذ وطاب ، كل طير ينادي بصلّاح بلاده وطائر البجع يحط على شرفة المطعم ماداً عنقه في فضول ،أحاول مشاكسته ينصحني النادل، عدم مجاراته،يطرده ويغلق النافذة ،ألمحه من بعيد على ضوء القمر يحط على قمة نخلة سامقة، ينخرط في مغازلة رفيقته الطويلة بعضات من منقاره أعلى جرابها المتهدل الذي يشبه بالونة حمراء ثقبها طفل عنيد. آه ،الليلة عيد، والأطفال هناك عبر الغياب يلعبون .. بالبالونات ... بالمفرقعات ...بالقناديل : «هذا قنديل وقنديل ،فاطمة جابت خليل « «هاذا قنديلك يا حوا يشعل م البارح لا توا « «هاذا قنديل الرسول فاطمة جابت منصور « يا لهم من أشقياء !! لكن من فاطمة هذه ومن حواء تلك ؟ ومن خليل أو منصور هذان ؟لا يهم ،المهم أن الأطفال على البعد الآن يحملون مصابيحهم ويكررون المشهد الذي لازالت تختزنه الذاكرة بأدق تفاصيله رغم اختلاف الزمن ... مصابيح صينية الصنع ... أشكالها مختلفة ... هذا على شكل مصباح يدوي وهذا يشبه ثريا متدلية عنقودية الشكل .. وثالث مثل مسجد ذهبي مضيء ، وأخر حديث على هيئة (بابا نويل) لا أدري ما الذي جعل «سانتا كلوز» يحشر أنفه في قناديل أبنائنا .. وهل حقاً يرونه في الأحلام مثلما يراه الصغار في مدن الصقيع ؟ لا يهم فالأطفال فرحون ...ولا يعنيهم

سواء كانت قناديلهم صنعت في الصين أم في اليابان ، أو حتى في سوق الجمعة ولا تهم إن كانت على هيئة مئذنة أم على هيئة صليب أم على شكل دمية شقراء ..... المهم أنها تضيء وتغني لحنها المعهود بصوتها المعدني المكرور. كل هذا لا يهم فالصغار لا يهتمون كثيرا بمثل هذه التفاصيل صغرت أم كبرت ولا يكترثون بالساسة ومقاطعاتهم الوهمية .... ولا حتى بالمذاهب والبدع .. فقط ما يشغلهم هو العيد ... والليلة عيد ...ولابد أيضاً أنهم يطرقون كل الأبواب بما فيها باب جارتنا العجوز التي فقدت بصرها... بعد أن هجرها زوجها الشايب وتزوج بفتاة أصغر من بناته اللائي لفهن الغياب بستائره الكثيفة مع أزواجهن الأغنياء في المدن البعيدة . الليلة عيد ... و ذاكرتي تستدرجني بخبث الكبار فاستسلم لغوايتها حيث بقايا نجعي على أعتاب مدن من ملح معتق... وطيف حلم وسدته نبضي الغرير فانداحت دوائره كسواقي من وهم تروي ظمأ العمر من رمضاء الأحبة ... أراني هناك كما أنا الآن وحيداً أعانق أعتاب غربتي وأقايض هذه الخلاسية ـ التي ما فتئت ترمقني بنظرات سخية ـ ورأسي آتون تضطرم فيه كل ظنوني ويقيني (الله ،الوفاء ،المرض) وأشاكسها بغريزة أطفأها القلق، و أنقدها جزاء براءتها الطاغية.. متواطئاً مع خيبتي الأولى على مضمار من وجل، أسألها قبل أن تغادر عن أسمها، .. تصدمني نبرتها المبحوحة : ـ صابرة أردف السؤال بآخر عن اتجاه مكة ... قبلة الصلاة ... تغمزني بنظرة ماجنة ويبتلعها ممر الفندق الطويل... فأغلق باب غرفتي ملقياً بجسدي المرهق على السرير وأغط في نوم عميق . في الصباح قررت هبوط سلم الدرج وأنا أتذكر ثري الحرب الذي شيد أكبر بناية في مدينتنا و أمر مهندس البناء أن لا ينقص عدد درجات السلم عن مئة وأربع عشرة درجة ، حتى يتمكن

من ترديد « أذكار الصباح والمساء » بيسر وسهولة ثم قام بتأجير شقق العمارة لضباط القاعدة الإنجليزية في طبرق . على آخر درجة كانت صابرة هناك بزي الفندق القرمزي تتحدث مع زميلتها الطويلة ، ما أن لمحتني حتى جاءت لمصافحتي بود وقالت : - كيف كانت ليلتك ؟ أجبتها ببرود : أمضيت ليلتي هناك، في مدينتي طبرق، حيث الأطفال يجوبون الشوارع ويطرقون كل الأبواب، بقناديلهم الملونة ابتسمت وهي تمط شفتها السفلى تعبيراً عن عدم استيعابها لما أقول، وانسحبت مع رفيقتها و تركتني ألتحق برفاق رحلتي المشاكسين .

أوغندا 12 ربيع أول 2008 م

يوسف اللويشي

فوبيا النباح

حينما تقرصك بعوضة الوقت ، ويعض أحلامك نباح الكلاب المموسق بصياح الديكة قبيل الفجر ، ثق أنك لازلت تعيش على الأرض ، وتسكن هذه المدينة ـ التي ورثت كل القرى المجاورة ـ منذ مليون صبح على التوالي ، ولازلت كعادتك تخرج من بيتك ، كل ضحى توزع الابتسامات ، وحلوى السلام على الأطفال والمارة ، وتفشي الأسرار التي راودت قلمك في الليلة التي برحت منذ سويعات.

وحيثما تقود سيارتك ذات مساء ليس فيه ضوء قمر ، ويقطع طريقك قطيع من الكلاب ، وتضرب أوصالك فوبيا العزلة ، فثق مرة أخرى أنك لم تزل في مدينتك العامرة بالمتناقضات ، وبين رحاب أحد أحياءها السعيدة ، مثلما أنت ، ودونما أدنى تغيير.

وعندما تقودك قدماك على حين صدفة ، لزيارة صديق ، أو عيادة قريب انفجرت مرارته دون سابق أعراض ، وتقرر أن ترجع بالذاكرة ، لتستكشف ما طرأ على مدينتك من حداثة ، فيداهمك " شلاق النابحين "... فتأكد أنك لازلت تتنفس أكثر من عشرين مرة في الدقيقة الواحدة ، وأن غدة العرق لازالت قادرة على ضخ سوائلها عبر كل مسام جسدك المرهق ، وأن قلبك مازال يئن بين جنبيك مثل رشاش سريع الخفقات ، وأنك أيضاً لم تزل تستطيع الركض بين أزقة مدينتك وحواريها الطاعنة في فوضاها منذ مليون مساء متشح

بمصابيح رديئة الإضاءة.

وحينما يرجع طفلك الذي لم يتجاوز الخمسين دورة قمرية من عمره المديد ، منهوش عضلة الساق ، ممزق بذلة العيد ... فتيقن أن كلباً له أكثر من مالك في المدينة ، لم يرقه رؤية الصبي متقيداً بقواعد البيئة ، ووضع مخلفات الأضحية في "صندوق البلدية.«

وعندما تشكو حليلة جارك السابع فقد أكثر دجاجاتها إنتاجاً للبيض أوان الغروب ، أو أن يهاتفك بنو عمومتك طلباً للمساعدة في البحث عن عنزاتهم التي ضلت طريقها إلى الحظيرة على غير العادة ، ما عليك إلا أن تفتش عن الكلاب.

وعندما يخترق سمعك صوت طائش من شدق بندقية صيد في وضح الظهيرة ، أو صيحة استغاثة امرأة مسنة بعد صلاة العشاء ، فثمة كلب عقور خلف تلك الصرخة ، أو ذلك الدوي الذي أتلف نصف أنسجة طبلة أذنك اليسرى.

وعندما يشج رأسك حجر طائر أو يحطم زجاج سيارتك أو نافذة غرفتك ، ولا تجد أحداً في الشارع ، أو ربما تشاهد دائرة من العراك البدائي ، فتأكد أن كلباً مشاكس خلف كل ما جرى ، لك ولأصحاب الدائرة أيضاً ، وستكتشف أن سبب التئام الدائرة ، كلباً مسروقاً أو سارقاً لحمامة جاره ، أو في أغلب الأحيان ، أن أحدهم ممن أصيب بعقرة كلب مات منذ عشرة آلاف ليلة قد عاودته حمى النباح.

وعندما تقرر ذات جمعة أن تصطحب صغار أسرتك إلى أحد شواطئ البحر الذي يلف مدينتك مثل هلال قديم ، وتفاجئك هذه المرة زمرة من الكلاب بملامحها الذئبية ، فتتذكر على الفور تعبيراً

شعبياً يؤكد أن " البحر فيه كلب "، فتخشى على لحم أبنائك ، وتقفل عائدا إلى البيت.

وفي طريق عودتك تصدمك رؤية حادث مروري مروع ، وتأتيك الإجابة دون سؤال : — لقد حاول المرحوم أن يتفادى الاصطدام بكلب أجرب.

وتفلت منك العبارة:

- ليته قتله.

وفي البيت تتعالى أصوات أطفالك بالشكوى:

- ليس ثمة ماء ... الملح يلهب جلودنا.

فتخرج الكلمات من بين شفتيك وتردد:

- مؤكد أن كلباً ما قد أغلق الصنبور هذه المرة.

طبرق: 15-5-2009م

الطريد

ترك كل شيء وخرج وحيداً يجرجر خطواته كالمهزوم . لا أحد يتمنى له رحلة موفقة، ولا مودع .. سوى نباح الكلاب التي بدت وكأنها متواطئة مع أهل القرية على سوء معاملته والتعجل برحيله خارج حدود القرية.

وقف لبرهة واستدار للخلف، ملقياً آخر نظرة على بيوت القرية التي ظهرت من بعيد كبيوت للأشباح، بلونها الرمادي الكئيب الغارق في بحر من اللون الأحمر الكابي، المنبعث من عين النهار الكبيرة المائلة نحو المغيب.

كان المنظر برمته حالماً، لكنه بدا لناظريه موغلاً في الكآبة رغم الأحاسيس المتضاربة التي يعج بها صدره، والتي بدأت تستيقظ فجأة لتضغط ببطء وانتظام على جدار ذاكرته جاعلة إياه يستسلم في خدر لجلال لحظات الوداع القسري المهيب.

هنا وجد نفسه، منذ أكثر من ستة عشر عاماً، من طين هذه الأرض جبل، ما زال عبق النسمة الأولى التي تسللت إلى رئتيه لأول مرة متغلغلاً في تجاويف عقله، وهذا التراب الحبيب كم استف منه وهو طفل يحبو، وهذا الحيز الذي يراه الآن ليس به موطأ قدم إلا وطأه، حافياً ومنتعلاً، كل أشجار التين اعتلاها بشقاوة الصغار وجنى ثمارها خلسة هو ورفاقه، كل حمير القرية امتطى ظهورها الواحد تلو

الآخر في غفلة من أصحابها، قاطعاً بها أشواطاً طويلة وهو يمتشق سيفه الخشبي كمحارب قديم.

وهذه الكلاب التي ظهرت جلياً وكأنها جاءت لتتشفى منه كم سامها سوء العذاب، حتى بهائم القرية لم تنج من عصاه الغليظة التي كان يهوي بها على أجسادها في قسوة .. متلذذاً بأنينها المكتوم، حتى طيور السماء كان ينصب لها الفخاخ والحبائل، متحايلاً عليها بطعم صغير، أو حبة قمح، ثم عندما تقع في شراكه كان يدق أعناقها في لذة وغرور.

كل شيء يشهد بأنه ابن القرية، وواحد من أفرادها، تلاميذ القرية يعرفونه جيداً ينادي الصغير باسمه حين لا يجد شطيرته التي سطا عليها وازدردها في لمحة عين، نساء القرية يعرفن "موسى" حق المعرفة، بجسمه النحيل ووجهه الأسمر المشوب بصفرة خفيفة، فكانت إحداهن عندما تفقد إحدى دجاجاتها، ترفع يديها نحو السماء مستمطرة اللعنات على رأسه الصغير، حتى الأعمى الوحيد بالقرية لم يسلم من شقاوته، فكان كلما تعثرت قدماه بحجر في عرض الطريق يبدأ في صب الشتائم كصنبور معطوب لعلمه المسبق بأنه وراء هذه الأفعال الدنيئة.

كان أهل القرية يتطيرون منه، بل كان بعضهم يستعيذ بالله منه، لدرجة أن الحاج محمود شيخ المسجد أفتى بوجوب رحيله كي ينزل الله المطر بعد سنوات القحط، وكي لا يعذب الله أهل القرية ما دام بين ظهرانيهم هذا المارق الملعون، الذي مات أبوه وهو في بطن أمه، وماتت أمه وهي تلده، ومات عمه بعد شهر من مولده، ومات كل من يمت إليه بصلة قربى قبل وصوله العام السادس.

كان يسترق السمع من خلال كوة صغيرة أعلى الجدار الشرقي لمسجد القرية الوحيد بعد صلاة العشاء الليلة البارحة، وكانت علامات الدهشة تطغى على ملامحه حين رأى من مكانه أشخاصاً لم يتعود رؤيتهم يرتادون المسجد، فطفق يفكر في كنه تواجدهم الليلة، حتى أقنع نفسه بأنهم قد أتوا لاجتماع مهم دعاهم إليه "مختار القرية«

ربما للتشاور في كيفية محاربة أسراب الجراد التي علموا بأنها في طريقها إليهم، أو ربما حضروا للتوقيع على طلب للحصول على الكهرباء أسوة بالقرية المجاورة، أو للنظر في عملية تعبيد الطريق الترابي الذي سيصل القرية بالطريق العام والتي تعثرت لنقص الموارد المالية.

كان سابحاً في بحور الخيال وكان الملأ يأتمرون به، حتى خرقت أذنه كلمات الحاج عبد السلام الذي قاطع شيخ المسجد قائلاً:

- ولكنك يا حاج محمود لم تكن مصراً على رحيله كهذه المرة..

هل لأنه دس الدبابيس بقطعة الخبز التي أماتت كلبك؟

وما يدريك لعل أحد الصبية الأشقياء فعل ذلك ؟

.. ربما هو بريء هذه المرة ،

وهنا وقف الشيخ كالمصعوق متكأً على عصاه وهو يقول:

- لا أنه هو، لقد شاهده الأطفال وهو يلقي بقطعة الخبز

قالها الشيخ جازماً قبل أن ترتفع كل الأصوات لتؤيده في ضرورة رحيله غداً قبل أن يحل الخراب بالقرية.

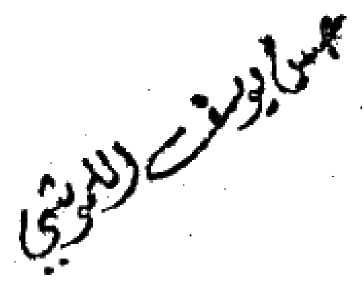
لم يكن يتصور أنهم جادون، وأنهم عازمون حقاً على طرده حتى

أنه أخرج لسانه في الظلام وغادر المكان قبل خروجهم، مسرعاً نحو كوخه الصغير الذي صنعه بمفرده من أغصان الأشجار الميتة وألواح القصدير الصدئة .. هناك على أطراف القرية بجانب شجرة التين العملاقة التي زرعها جده في الزمن الغابر.

بدأ الظلام يلف القرية بستائره الكثيفة فبدت من بعيد وكأنها تغرق في لجة معتمة ليس لها قرار فتوقف عن الاسترسال في استرجاع الأحداث واستدار للخلف، ومشى بخطوات متثاقلة كأنه ينتشل قدميه من وحل ثقيل، تراءت له على مدى الأفق الضارب في البعد هالة من الضوء المتألق تتسامى نحو السماء رويداً ... رويداً.

ترى أهي بداية ليل طويل .. ؟

أم هو فجر جديد قد انتظر طويلاً .. وحان وقت بزوغه.



زينك بلد .... لولا حمد!!

بعد أن ضاق الحال بأحد دراويش البدو يمم وجهه شطر بلاد الله أرض الله ... وراح يسري كل ليلة تحت ضوء القمر ويرفع عقيرته بالغناء مسامراً ذاته ، ويكمن تحت أي عوسجة أو شجيرة طلح أو سدر تصادفه في النهار اتقاء لحرارة شمس النهار ، وبعد عدة أيام وصل إلى بلدة تقع في الجنوب الشرقي لمدينته فصادف أول ما صادف صاحب بستان صغير يجلس أمام كوخه المبني من السعف والجريد ، فرحب به واستقبله بحفاوة منقطعة النظير ..فقال درويش البدو في نفسه : يبدو أنني قد تخلصت من ضنك العيش إلى الأبد ، وأنني عثرت أخيراً على المستقر ....وقبل أن ينتصف النهار صاح صاحب الكوخ بصوت مرتفع ... فجاءت فتاة جميلة لها قامة كذروة نوق البراري ، ووجه يشبه نساء الأساطير بعينين فرعونيتين وحاجبين مرسومان بدقة وأنف شامخ و غمازة مثيرة تحت ذقنها المدبب وقالت :

- نعم يا أبي ..ها أنا قد جئت .... أمرك.....
- فقال الشيخ : اصطحبي ضيفنا إلى نخلاتنا المقدسة....

فانحنت الصبية وأخذت بيد البدوي المشدوه وانطلقت به عبر البساتين حتى أتت منخفض من الأرض يحتضن واحة غناء من النخيل المنخفض الارتفاع المثقل بعراجين البلح مختلف الألوان على

ضفتي غدير رقراق ، أحس البدوي برغبة جارفة في التقاط حبيبات البلح المغرية ، شرع يلتهمها بنهم غريب ، ولم يستمع لنداء الصبية التي كانت تدعوه للتريث حتى لا يصاب بتخمة أو يفقد شهيته للطعام الفاخر الذي ينتظره على الغداء ، لكن الجوع كافر ، ولم يستمع الرجل إلا إلى نداء الطبيعة فقط ، وما هي إلا دقائق من الالتهام المتسارع حتى امتلأت معدته وراح يتفنن في اختيار ثمار البلح بعناية وينتقي أكثرها نضجاً وأكبرها حجما وبدأ يمسح الغبار عن كل ثمرة يلتقطها بصبر وأناة ، عندها ضحكت الفتاة بغنج ودلال فأعجب البدوي بخاطر مر بمخيلته وبدأ يشاكس ابنة مضيفه التي تواطأت مع دروشته وقررت أن تفيض عليه من بهجتها تلك الظهيرة القصية ، وعندما أحس الدرويش بأن الدماء قد جرت في عروقه وأن السماء قد أهدته هذه اللحظات نسى كل ما قرأه في كتاب قريته البعيدة ونسى ملامح كل أبناء ذلك الساحل المتعرج الذي يحتضن مدائن الملح البعيدة وقرر أن يودع بؤسه وشقاؤه إلى الأبد وأن يدفن كل ماضيه عبر الدغل المونق ، وحينما أفاق وجد المرأة تصطحبه حيث كوخ والدها الذي بادرها قائلاً : ما به ضيفك يترنح يا غالية ؟

فقالت : لقد أرخى زنبيله!!

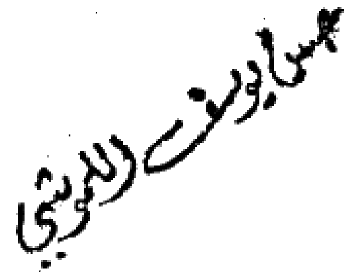
فرد الشيخ : إذن استدعي عمك " حمد " حتى يكرم وفادته

وما هي إلا لحظات حتى أتى رجلا زنجياً في منتصف عمره ضخم الجثة مفتول العضلات تتدلى شفته السفلى مثل جمل مجنون ، وجلس بقوة كجدار متهدم وربت على رجل البدوي وقال : مرحبا بضيفنا الجميل ، فنظر البدوي إلى عيني الرجل الذي بادره بغمزة ماجنة ، فاطرق البدوي قليلا وقال: مرحبتين سي حمد . وبعد الغداء

استأذن صاحب البيت والزنجي ضيفهما في إغفاءة معتادة كانت هي طوق نجاته فخرج يركض لايلوي عن شيء تهبط به سهول وترفعه جبال طريداً في البراري حتى جاء مدينتنا ، وظل يسرد الحكاية لكل من يسأله عن تلك البلاد:

- ويقول ((زينك بلد ... لولا حمد))

((زينك بلد ... لولا حمد))



طبرق: خريف 2011م

ملهاة الرعيان

تستدرجني ذاكرتي على أعتاب الكهولة فأرحل معها بتحنان صوب مرافئ الحلم الجميل هناك على عتبات طفولتي الموغلة في البداوة، وأنا أهش على غنمي بعصا من جريد نخلة جدي الوحيدة التي غرسها على شاطئ وادي العين بشط الشواعر، أراني هناك طفلاً بدوياً غريراً يمشي بشموخ خلف قطيعه الصغير المختلط من أغنام وعنزات جدتي الحاجة فاطمة الشاعري، وأنا أتأمل وادي العين الفسيح والأراضي الخضراء المترامية على مد البصر، والتقاء الصحراء بالبحر الأزرق الشاسع، وتقافز الجديان المستمر ونوبات النطاح التي تلجأ إليها فحول قطيعي الصغير وهي تشعر بالشبع والارتواء من ماء المطر الذي هطل ليلة البارحة، وأنا أتابع فوضى القطيع وتدافع بعض نعاجه لقضم براعم الأعشاب الناتئة بين صخور الشاطئ المتعرج، وأرقب ذلك العصفور الصغير بريشه الجميل وهو يطير من عوسجة إلى أخرى باطمئنان غير مبال بي ولا بجلبة قطيعي السعيد، أقترب من العصفور حتى أكاد أمسك به فيطير دونما خوف على ما يبدو ليحط من جديد على بعد خطوات من قدمي، فأحاول مخاتلته ومخالسة النظر باتجاه الأغنام، وأرتمي عليه بسعادة ظناً مني بأنه لن يفلت هذه المرة، لأفاجأ به يزقزق أعلى أجمة من نبات « الحلاب» وأنظر في عينيه بحنق فلا أجد سوى نظرة محايدة كأنه جبل عليها، أو بقايا بريق يشع من عينيه الصغيرتين يدعوني للتحدي

من جديد، وأظل هكذا في صراع مع هذا الكائن العنيد، محاولاً خداعه دون جدوى حتى تسقط الشمس في البحر ويحل المساء، فأرتد على أثري قصصاً، مقتفياً أثر أرجل نعجاتي التي تعرف في الغالب أقصر الطرق للحظيرة، فأجد والدتي بابتسامتها البدوية الجميلة التي تشوبها شماتة محببة وهي تقول:

كملت يومك وراء " ملهاة أم الرعيان ؟؟–

– انظر ملابسك كلها حمراء من التراب

– لن تتحصل على طير واحد منها ... وإن تحصلت لن يشبعك

– أنت تضيع وقتك يا وليدي فيما لا ينفع!!!

تلوح لي الآن عبر الغياب ابتسامتها الحنون، وترن في مسمعي كلماتها التي مضى عليها عمر طويل، وأنا أنفق مزيداً من الوقت هنا عبر الكتابة، والصحافة ، والانترنت ، و" الفيس بوك " فيما ينفع وما لا ينفع، وصدى صوت والدتي ينادي في الآفاق:

أنت تضيع العمر وراء " ملهاة أم الرعيان»

وأكرر المحاولة ولا أتوب

مطروح : صيف 2010م

ميم

لا أدري ما الذي جعله يفكر على هذا النحو . . ولماذا استدرجته ذاكرته إلى هذه الزاوية المتخمة بالأسرار .

كومة من الذكريات المتناقضة.

قلوب تنتفض وأخرى تنتحب وثالثة تموء مثل قطط ترتجف من البرد . . . وجوه وأقنعة وحكايات وأسرار وصور مكسرة الحواف وتذكارات صنعها فنانون وحرفيون في مدن بعيدة . . على شواطئ تحتضن الموج . . وأخرى تغفو في مجاهل الصحارى القصية . . كلها أيقونات تحمل بصمات لحبيبات شهيات زرعن أحلامهن على قارعة ذاكرته البدوية سريعة العطب . . و نفحنها بمناديلهن الموسومة بالعطر ودموع الترحال و نسمة العطر الأخير . . . وقف كطفل يسترجع النظر إلى قبر أمه و راح يقلب محصول بيدره العتيق . . فجأة تجمدت يده وعن له خاطر عجيب . . عاد يقلب التذكارات من جديد . . يا ألله . . كيف لم أنتبه لهذا التوافق العجيب ؟

كيف نسيت في خضم هذا العمر كل ما جرى . . . كيف لم أنتبه إلا هذه اللحظة ؟

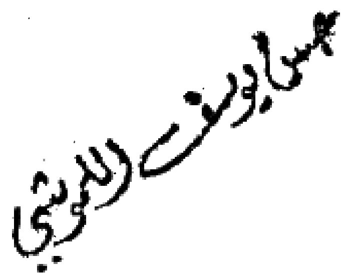
كان كمن عثر على كنز أسطوري . . وهو ينسخ أسماء حبيباته التي كتبت بخطوطهن على رسائل الغرام و مناديل التذكار و ميداليات الهدايا من جديد . . . وأحاسيس مختلطة تتسلل إلى قلبه الذي بدأ

يخفق بقوة وارتباك . . .وهو يتمتم:

كل حبيباتي تحتوي أسمائهن على حرف الميم ؟

لم أنتبه لهذا الرابط من قبل . . . هل للأقدار علاقة بذلك أم تراها مجرد مصادفة قد تتكرر مع البعض كما حدثت معه هاهنا؟

دس كومة التذكارات في مكمنها السحيق من جديد و راح يستدعي عطر حبيبته الاستثنائية التي استطاعت أخيرا أن تقنعه بأنها ليست ككل النساء . . . هم بالخروج وتذكر أسمها الذي يحتوي أيضا على حرف ميم فارتسمت على محياه ابتسامة سريعة وغادر المكان.



قرطاج : 2012/9/6م

نور عيون

لا أدري لم تذكرتك الآن ، وأنا لا أكاد أنساك أبداً منذ فراقنا الأخير ؟

الآن بالذات ... تلوحين لي بوجهك المضيء وأنا خلف مقود السيارة أحدق ـ في صورتي الساكنة ـ في حدقة عينك وأنت تنهرينني كعادتك :

● انتبه يا نور عيني للطريق

فأغافلك وأسترق النظر إلى عمق عينيك التي تشبه عينيّ إلى حد كبير فلا أرى ـ في غورهما سوى صبر عميق والتماعات تومض كلما ناوش شعاع الشمس عدستيهما بتوهج رغم عدم قدرة الحزن على طمس جذوتهما المتقدة طيبة وبهاء . وحينما لم تفلحي ـ في إثنائي عن النظر إليك تلتقطين نظارتك السميكة بهدوء لتغطيهما بحجة ضغط الهواء ودخان سيجارتي الذي قد يذهب بما تبقى فيهما من بصيص .

تذكرت حينها قصة قصيرة لصديق طبيب عن أميرة عاد بصرها بمجرد تذكر اسم حبيبها الأول ، فأردت أن أمازحك بتلك الحكاية، فإذا بك تنهرينني من جديد :

● أنت حبيبي الأول والأخير، أنت نور عيوني .

أتذكرك الآن ـ في هذا الهزيع وأتذكر كل محاولاتنا معا عند أطباء العيون ومع أشعة الليزر والعدسات والعمليات الجراحية وقوة صبرك

وقدرتك على الأمل والحلم وأنت ترددين :

- لن يعيد لي بصري سوى زيارة لقبر جدي حبيبي المصطفى

أتذكرك وأنت تموئين في أحضاني بعد كل زيارة كطفلة وأنا أمسح ذلك الفلز الساخن المنهمر عبر وجنتيك وألثم جبينك وأشم عبير الفردوس تماما مثلما تستشعره حواسي الآن وأشاكسك وأنت ترددين :

- انتبه للطريق يا نور عيوني

- الله يربحك يا وليدي ويسترك سترة الضأن بالصوف .

طبرق : 2013/7/7م

محطة

كمسري الترام ببذلته الكاكي المزينة بشعار النقل العام وولائه لوظيفته الميري ينادي : ورق . . ورق . . . تذاكر يا أفندم . . تذاكر يا مدام . . اللي ما قطعش تذكرة ياسادة.

وأنت تجلسين قبالتي في العربة المختلطة ترمقين طيور النورس المحلقة منذ الأزل فوق شاطئ السلسلة وأنا أنظر بهدوء لعينيك القابعتين خلف زجاج نظارتك السوداء وشعاع شمس أكتوبر يتسلل من بين البنايات بصعوبة منعكسا على صفحة خدك الأسيل . . وجاري في المقعد يسألني عن المحطة القادمة . . فتتطوعين بالإجابة بعد تلكؤي في الرد . . وتدعوني ابتسامتك بالتعبير عن امتناني وأنت تسألينني:

- هو حضرتك نازل فين ؟
- محطة الرمل
- لسه كتير . . دي آخر محطة.
- نعم . . صحيح

وتستمرين في الحديث بتلقائية كأنك تعرفينني تماما . . وأبادلك الحديث عن الغربة والحياة والإنسان وأسرح مع نبراتك بعيدا . . فأجدني أجلس على كرسي عتيق في حديقة الخالدين وأسرد لك كل ما جرى مع ذلك الفتى الذي كنته ذات ربيع وأستيقظ على صوتك

الذي لن يتكرر:

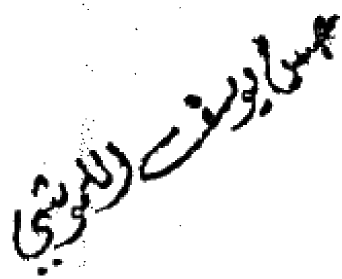
● أوكي . . آنست إسكندرية . . أتمنى لك إقامة ممتعة . . وبعفوية تخلعين نظارتك وأنت تمدين يدك باعتداد.

فأبادلك المصافحة وأنت تهبطين درجات الترام وتذوبي في الزحام

.

آآآه يا مدينة البحر والشعراء والنساء الشهيات.

آآه يا مرا في الحب والجمال.



الإسكندرية :5/11/2012م

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الولد الغبي

كلما أخبرتني شاشة نقالي بأنه المتصل .. رددت بتلقائية معتادة:

يستر الله

كان لا يتصل إلا ليخبرني عن مشكلة قد حدثت أو عن مصيبة على وشك الحدوث . . . وكنت أتوقع دائما من اتصالاته الخطر في كل حين . . حتى هذه المرة التي جاء صوته منشرحا و مستبشرا وهو يردد بلهفة عجيبة:

مبروك . . مبروك

كنت أردد في ذاتي:

ربي يستر . . خيرا إن شاء الله.

انتظرته للحظات حتى ينهي نوبة المديح والإطراء التي انطلقت عبر سماعة الموبايل:

والله فرحت لك

أنا سعيد جدا بهذا الخبر

أقسم لك كأنني أنا الذي تحصلت على الجائزة

مبروك يا أستاذ فوزك بجائزة أفضل غناي بالعلم في المدينة

عبثا حاولت إقناعه بأن ثمة خطأ في الأمر وأنني لا أجيد هذا النوع من الغناء الشعبي، وبأنني لم أشارك أبدا في أي مسابقة بهذا الجانب . . وعبثا حاولت أن أقنعه بأن المقصود قريب لي يحمل نفس الاسم واللقب . . وعبثا حاولت شكره وهو يقول : جميل أن تكون متنوع الإبداع على هذا النحو . .قبل أن ينهي مكالمته : وهو يردد:

مكتوب في غلا العويل . . . بأسوام بخس يبيعوه خاطري.

طبرق : 2012/4/1م

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

فكرة

كلما ألصق صورته الانتخابية على جدار مزقها أحد الخبثاء

الذين وصل بهم الأمر إلى إزالة كل صوره وإلصاقها بصناديق القمامة أو على أغطية المجاري

في كل شوارع المدينة ؛

أخيرا قرر أن يضع الصورة على مؤخرة سيارته ويتجول بحذر وهو يلتفت للخلف مخافة أن يعبث بها أحدهم .

حكاية أسمها ضبرق

ليس ثمة شيء رائج هنا أكثر من الحكايات .. ولا شيء يكسر حدة الضجر في مساءات الشتاء ، غير قصاص ينسج الحكاية كحاو محترف .... فبلدتنا مشهورة بين القرى منذ بدء تكوينها ب «أم الحكايا»

تقول الأسطورة : إن حكاءً شماليً رأى ذات حلم أن ربة السرد تشير باتجاه الجنوب ، فامتطى زورقه الصغير و يمم شطر هذه القرية السارد أهلها .. فتلقفه الرعاة ... وراحوا يقايضونه حكاية بحكاية ...فاختلطت الحكايات تسعى عبر دروب القرية وأزقتها كتنين له ألف رأس ورأس.

اختلفت الروايات عن أصل الحكاية ... لكن أكثرها قرباً للواقع تقول : أن محبوبة ذاك الشمالي الشقراء اقتلعت من أدغال جزيرتها شجيرة تين صغيرة ، ودستها في ثنايا متاعه كي لا ينساها في ليالي الغياب .. وأنه غرسها على شاطئ قريتنا وظل يحكي لها كل ليلة حكاية ، حتى نمت وأثمرت أغصانها ... وقيل أيضاً أن نساء قريتنا في مواسم النضج ..كن يفطمن صغارهن على حبيبات التين البيوضي ويحكين لهم حكاية جديدة ... عن راع شجاع ظل يحكي لنفسه ألف حكاية وحكاية حتى لا يصرعه النعاس ، فتضل القطعان أو يداهمها الغزاة.

وعن راع آخر أرَقه الحنين لمضارب قبيلته فنشأ ينفث وجداً أبدياً في مزماره مناجياً طيف طفولته الأولى ...فاستقر القمر في سماء قريتنا ألف عام وعام ... وانشطر الرعاة إلى قبيلة من الحكائين وعشيرة من الشعراء.

في قريتنا تبدأ الحكاية بلمحة .. بكلمة ... أو بجملة بسيطة يتلقفها الناس ويخلعون عليها أجزل ما لديهم من كلمات... وعندما يجن المساء ، تكون ثمة حكاية جديدة تروى .. وتتبجس الحكايا كينابيع صغيرة تسري ببطء عبر أخاديد الكلام الأزلية في ذاكرة طبرق فتنساب أكثر وأكثر ...ثم تتدفق كسيل عرم يفيض عبر أودية التذكار التي لم يزل أهالي طبرق يفخرون بملكيتها.

يقول المثل : " أبرع من حكاء طبرقي "... نعم ..فليس أبرع من سارد عليم يستدرج مخيلتك برقة ولطف ويطوف بك عبر فضاءات من وهم ...ثم ما ينفك يأتيك بما لم تكن قد أحطت به خبراً أحياناً ... أو بما لم تكن تتوقعه في أغلب الأحايين .... وليس ثمة أجمل من قرية عانقت مضاربها أعتاب البحر ومفارق الصحراء ...بعد أن توجتها أحلام أبوللو وبوسيدون وكل آلهة الجمال في الزمن الغابر ...ثم نسجت عبر مرافئ الحلم الجميل وأزمنة الفاتحين عباءة للوطن وأسطورة للجهاد.

هنا في شوارع قريتنا تستطيع كل فتاة مثل " مقبولة1 " أن تسحرك بعينيها الواسعتين اللتين تشبهان " عيون الغزلان الخائفة2 " و تجعلك تحلَق بين " الأجنحة والأفق3 " أو عبر

"طقوس العتمة4 " وبلا أدنى " أوزار5 " صانعة سيمفونية من " تهاويم6 " بدوية تحملك في " نهاية المطاف7 " إلى تخوم " الشفق

الأبيض8 " لتعانق وحدة " الرجل والنورس9 " في رحاب " أنتي برغوس10 " معشوقة البحر ... ومدينة الحرب والسلام

السيرة

■ عوض عبدالهادي الشاعري

● مواليد 1960

● صحفي و قاص وشاعر ليبي

●عضو النقابة العامة للصحفيين الليبيين

● عضو اتحاد الأدباء والكتاب

●مدير ومؤسس (بيت البطنان الثقافي)

● رئيس تحرير صحيفة أخبار البطنان

● رئيس تحرير صحيفة طبرق الحرة

● مدير تحرير صحيفة المختار الأسبوعية

● مدير الشؤون الإدارية برابطة أدباء البطنان

● مدير مكتب الشؤون الإعلامية بطبرق

● مدير مكتب الشؤون الثقافية بالثقافة والإعلام

● منسق تحرير مجلة الفصول الأربعة

شارك في العديد من المهرجانات والمعارض الدولية والمحلية والندوات الأدبية والثقافية تحصل على العديد من الجوائز وشهادات التكريم والتقدير

له : (طقوس العتمة) مجموعة قصصية يونيو (2005

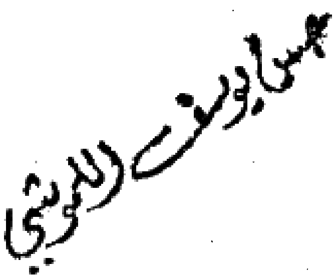
●مخطوط ق ق ج ... (اشتعال)

- مخطوط شعري (قبل الوداع)
- مخطوط روائي : فوبيا النباح
- مخطوط روائي (أصـــوات)
- مخطوط (وجوه من مدينتـي)
- مخطوط (الطريق إلى كمبالا) رواية

نشر إنتاجه الأدبي في العديد من الصحف والمجلات مثل:

■ البطنان ، لعرب اللندنية.. مجلة الثقافة العربية .. مجلة الفصول الأربعة... الشرق الأوسط ، مجلة لا ، الملتقى ، المؤتمر ، الشمس ، الشلال ، الأحوال ... طرابلس الغرب ... اللواء ... برنيسي ...فسانيا ... ليبيا الجديدة.. دارنس ، الصقور ، أخبار الأدب ، المشعل ، واكب العقيلة ، لغرفة .. كل الفنون، وغيرها .

■ أعد وقدم للإذاعة برنامج بعنوان (أدباء من بلادي) (على طريق الإبداع) ترجمت بعض نصوصه للسويدية و الانجليزية و الفرنسية والعبرية مسرحت قصته (طقوس العتمة) بمعرفة المخرج المسرحي محمد المسماري ومجموعة من نصوصه .. بمعرفة المخرج رمزي العزومي ونص (التماسيح) بمعرفة المخرج (حافظ عطية)



المحتويات

سطوة الكلاب

قصص

محمد يوسف الخريشي

5..000 LE

الهيئة العامة للثقافة
GENERAL AUTHORITY FOR CULTURE